OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

الوطنية في قصص يوسف إدريس القصيرة

The Patriotism in the short stories of Yousuf Idrees

۞طاهر محمود
أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها،الجامعة الوطنية للغات الحديثة،إسلام آباد
۞۞ طاهر يسين
باحث بمرحلةالدكتوراه،قسم اللغةالعربية،الجامعةالإسلامية،بهاولفور

ABSTRACT

Yusuf Idrees (1927-1991), an Egyptian literary figure was known for his short stories, novels, dramas and columns. He wrote more than one hundred and ten short stories and his thirteen books of short stories were published between 1954 to 1987.His first book "The cheapest Nights"was published in 1954.Yousuf had a lot of variety of themes in his short stories.His valuable stories although focus on commitment to the country and the nation. His work was also translated into English.A vast academic research has been carried out on his short stories and novels in different Arab and non-Arab universities of the world.

My article, "The Patriotism through short stories of yousuf Idreees"focuses on different methods he used to convey his love to his country.Furthermore, it is the study of those unknown soldiers of war who sacrificed for the sake of their nation.Moreover, it also highlights the loyalty of common people who sacrificed for their homeland.In addition, my work also portrays the thoughts of traitors mentioned in the stories of YousufIdrees.

Keywords: YousafIdress, Egypt, ShortStories, CheapestNights, Patriotism, Traitors, Unknown Soldiers, Loyalty.

يعتبر د.يوسف إدريس من أبرز كتاب القصة القصيرة في النصف الثاني من القرن العشرين في مصر وعميد القصة المصرية[١]والقصة القصيرة عاشت معه أربعة عقود تقريبا فهي ولدت في ١٩٥٠م عندما كان طالبا جامعيا فرأته شابا ثائرا وطبيبا هادئا وصحفيا باهرا وموظفا حكوميا ومدنيا ساخطا وريفيا مصريا ومقاتلا مناضلا ومعتقلا مسجونا ورجلا عاطفيا ومحبا فاشلا الخ فتأثرت القصة بكل أحداث حياته ولم يبخل يوسف بتسجيل ما ذاق من خلال هذه الرحلة من مرارة الحياة أو حلوها فردا ومجتمعا.

جرّب يوسف إدريس حظه أيضا في مجالات النثر الأخرى فقدم"أكثر من أربعين عملا في

المسرح والقصة القصيرة والرواية والرحلات"[٢]ولكن قصصه القصيرة لاقت اهتماما أكثر عند القراء والمثقفين ويذكر فاروق عبد القادر هذا الأمر الواقع قائلا"ولا شك أن إنجازه الحقيقي هو في ميدان القصة القصيرة لا الرواية ولا المسرحية لنبدأ رحلتنا بأشهى ثماره وقبل أن نبدأ يحسن أن نثبت ملاحظة قد تفيد قارئيه ودارسيه:أصدر يوسف ثلاث عشرة مجموعة قصصية،الأولى هي"أرخص ليالي في ١٩٥٤م والأخيرة هي"العتب على النظر"في ١٩٨٧م".[٣]

عاش يوسف إدريس الأحداث السياسية الكثيرة في حياته مثل حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م وحركة الجيش في يوليو ١٩٥٢م وتأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦م وتركت هذه الأحداث أثرا بارزا في شخصيته وآثاره الأدبية ورأى أن شعبه كان قد عانى كذلك خلال نكسة ١٩٦٧م وأيضا في حرب أكتوبر ١٩٧٣م ولاحظ أيضا أنه كيف تأثر الشعب المصري بنتائج مؤتمر كامب ديفيد سنة ١٩٧٨م وكيف كان الموقف العربي تجاه إخوانهم المصريين بعد ذلك كان يوسف إدريس وطنيا بحق فرأى أنه من واجبه الوطني أن يقف مع شعبه في معاناته ويصور بطولاته ويسجل مشاعر المواطن المصري وتضحياته في المواقف الوطنية والقومية ووفرت له مهنته (الطب) الفرصة ليعيش وقته بين عامة الناس فسجل ما سمع ورأى من مشاعر عامة النّاس نحو الوطن والقيادة والحروب الخ فقدّم تصوير المجتمع كما رآه وفهمه بقراها ومدنها،وبسجونها ومستشفياتها والمشاكل العائلية والفردية والاجتماعية والنفسية والجنسية والعاطفية والاقتصادية والسياسية الخ.فيحسن أن نذكر حياة يوسف إدريس ونتكلم عن شخصيته قبل البحث عن"الوطنية"في قصصه القصيرة.

المبحث الأول:نبذة عن حياة يوسف إدريس

ولادته

يقول يوسف القعيد الكاتب والروائي المصري الشهير بأنه ولد في١٩/٥/١٩٢٧م.[٤]

أمّاد.ناجي نجيب فيؤيده ويضيف بعض المعلومات قائلاً"بقريةالبيروم مركزها فاقوس بمحافظة الشرقية لأب يعمل في استصلاح الأراضي الزراعية".[٥]

والناقد الأدبي رضا عطية يتفق معهما في شهر الولادة"مايو"لكنه يختلف في يوم الولادة فيقول "يوسف إدريس المولود في١٤/٥/١٩٢٧م في قرية البيروم بمحافظة الشرقية".[٦]

أمّا صاحب معجم الأدباء فيكتفي بذكر سنة ولادته فقط.[٧]

أسرته وطفولته

ينتمي يوسف إدريس إلى أسرة من المزارعين وكان أبوه موظفا في التفتيش الزراعي وكان يوسف أكبر الأبناء السبعة من الزوجة الثانية وكانت له أختان من الأم الأولى أي من الزوجة الأولى لأبيه.عاش

طفولته مع جدته في القرية لأن أباه كان كثير التنقل بحكم وظيفته فقرر والداه أن يبقى مع جدّته.

ويذكر الكاتب طفولته في قصته"آخرالدنيا"وكنا قد أشرنا إلى هذا الأمر في رسالتنا لنيل شهادة الماجستير"يبدو أنها قصة الكاتب نفسه الذي كان سكن في طفولته بعيدا عن أبيه وأمه وإخوته".[٨]

وعثرنا خلال إعداد هذا البحث"الوطنية في قصص يوسف إدريس"القصيرة"على كتاب"الحلم والحياة في صحبة يوسف إدريس"فأكد لنا صاحبه ما ظنناه قبل سنوات[٩]بأن"آخرالدنيا"قصة طفولته ويتكلم يوسف في هذه القصة عن نفسه قائلاً:".. وفي أحيان يضيق بالعشاء ويروح يتصور عشاء آخر مع عائلته الحقيقية وإخوته الصغار والكبار،فلابد أن له إخوة ولابدّ أنهم يتناولون الآن طعاما أحسن وأبوه يأخذهم تحت ذراعيه ويهدهد عليهم وأمهم- أمه—تدللهم وتطعمهم"[١٠]وكتب عن زيارة والده قائلا "فأبوه كان دائما يعطيه أشياء كلما جاء لزيارتهم..والحقيقة أنه لم يكن يأتي كثيرا.. كل بضعة شهور مرّة."[١١]

دراسته

يذكر يوسف إدريس عن دراسته الابتدائية في"آخرالدنيا"أنه كان يذهب إلى مدرسته ماشيا وكانت المسافة بين مدرسته وبيت جدته لا تقل عن أربعة كيلومترات فكان يذهب وحيدا وزملاءه كانوا يأتون بركائب(حمير) أو بالقطار وكان يتأخر دائما من الطابور وكان نصيبه يوميا بعض الخيزرانات لتأخره أو لعدم حلاقته أو بسبب قذارة حذائه وكانت أيديه الصغيرة التي تبردها البرد، تتورمها الخيزران وكانت أذناه تحمر من شدّة البرد وكان لا يذهب إلى مطعم المدرسة أو كانتين كما سماه بنفسه وإنما كان يأكل رغيفه مع قطعة الجبن عند نهاية السور بعيدا عن زملائه.[١٢]

فكانت طفولته طفولة تعسة وفي دراسته الابتدائية كان لا يتمتع من دروسه بعد التعب والذل والضرب أمّا فترة الدراسة الثانوية فقضاها وحيدا في دمياط والزقاريق والمنصورة وكان من المتفوقين على مستوى القطر إذ كان ترتيبه الثالث عشر بين جميع الحاصلين على شهادة الثانوية.[١٣]

وكان يعاني في تلك الفترة من الوحدة وقلّة التسهيلات إذ كان يتمنى أن يجد غرفة بالكهرباء وفرصة الاغتسال بماء الحنفية كما نقل د. ناجي نجيب حديثه من"المجلة"في كتابه.

أرسله أبوه إلى القاهرة ليلتحق بكلية الطب ويخبرنا يوسف إدريس في قصته"أبو الهول"[١٤]عن أيام دراسته في كلية الطب .التحق بالجامعة بعد الحرب العالمية الثانية وكان طالبا ذكيا وساقته الظروف إلى السياسة فأصبح السكرتير التنفيذي للجنة التي كانت تقوم بالدفاع عن الطلبة فاشترك في المظاهرات ضد الاستعمار وضد الملكية القائمة في شكل الملك فاروق آنذاك ويتكلم يوسف عن تلك الأيام على لسان بطل روايته "البيضاء"إذيقول"أيام الإضرابات التي كنا نقلب فيها الأوتوبيسات وعربات الترام ونحرقها أمام كلية الطب."[١٥]

هذه هي الفترة التي قرّرت مصيره الثوري والوطني علنا كان أم من وراء كتاباته ويعلق فاروق عبد القادر حول هذه الفترة قائلا"عن هذا الإطار صدر عدد من قصص يوسف إدريس هو الذي كان غائصا بحماسته المتقدة وطاقته الضخمة في صميم النضال الوطني والاجتماعي طالبا في كلية الطب"[١٦] وتخرج فيها سنة ١٩٥١م.

اعتقاله

اعتقل يوسف إدريس أكثر من مرّة نتيجة نشاطاته السياسية فتعلم ما تعلم من المعتقلات وتحمل ما تحمل من العذاب والقسوة ويقول د.ناجي نجيب أن يوسف إدريس بقي مسجونا لمدة سنة تقريبا"واعتقل إدريس في سياق الموجة التالية في أغسطس١٩٥٤م وذلك بسبب نقده(لإتفاقية الجلاء)وأفرج عنه دون محاكمة ودون أن توجه إليه تهمة ما في أول سبتمبر١٩٥٥م تحت ظروف غريبة نادرة".[١٧]

وهذا ما أكده فاروق عبد القادر أنه سلم في حملة الاعتقالات الأولى وبقي حرا لعدة أشهر "ثم جاء دوره في أغسطس من ذات السنة(١٩٥٤م) ليقضي بالمعتقل أكثر من سنة ثم أفرج عنه في سبتمبر٥٥."[١٨]لكن للأديب محمود الورداني رأى آخر"وقضى في السجن عامين بين١٩٥٤م و١٩٥٦م".[١٩]

ولعلنا نميل إلى رأي د.ناجي نجيب لأنه حدّد فترة الاعتقال بالشهر والإفراج عنه باليوم والشهر أما محمود الورداني فلم يكلف نفسه بتحديد اليوم أو الشهر.

قرر يوسف إدريس بعد خروجه من السجن أنه لن يدخله مرّة أخرى مهما يكن ثمن حريته خارج السجن ويبدو أنه تفاهم مع الأمر الواقع المرّ فغيّر أسلوب نقده وفضل أن يوصل مشاعره نحو قراءه من خلال كتاباته بدلا من أن يصرح بها سياسيا ويسجن مرّة أخرى.يصف د.ناجي نجيب حالته وقت خروجه من السجن ولقاءه مع صلاح سالم وزير الإرشاد آنذاك"أمر صلاح سالم بالإفراج عن مجموعة منهم(هم الكاتب إبراهيم عبد الحليم والصحفي فتحي خليل والفنان زهدي.وهم من الأعضاء البارزين في حدتو[٢٠] –ويوسف إدريس واستقبلهم في مكتبه في قصر عابدين وهم في ملابسهم المهلهلة التي مزقتها عصا السجانين عقابا لهم على إضرابهم عن الطعام."[٢١]

والحقيقة أنه لولا دخل السجن لما استطاع أن يقدم أعمالا رائعة من أدب السجون مثل "جمهورية فرحات"و"العسكري الأسود"و"شيءيجنن"و"اقتلها"و"هذه المرّة" و"مسحوق الهمس"و"عن الرجل والنملة"الخ من القصص الرائعة.

حياته العملية

بدأ حياته العملية طبيبا وثائرا وكاتبا في آن واحد حيث تم تعيينه في مستشفى قصر العيني

(المستشفى الفرنساوي حاليا) واشترك في نشاطات للجنة التنفيذية للكفاح المسلح وكان أيضا يكتب القصص حيث أصدر مجموعته الأولى"أرخص ليالي"في ١٩٥٤م ولكنه بعد عودته من السجن ودّع النشاط السياسي وظلّ يمارس مهنة الطب وهواية الكتابة ويتكلم صالح مرسي عن هذه الفترة قائلا "ففي تلك السنوات الأخيرة من العقد الخامس في هذا القرن،كانت موهبة يوسف إدريس قد تألقت تألقا فريدا... وكان يكفي أن تنشر له قصة في أي جريدة أو مجلة حتى تصبح حديث الناس".[٢٢]

فتح عيادته في١٩٥٦م لكنها لم تكن غير محاولة سد الفراغ الدّاخلي والابتعاد عن الواقع المرير حوله ومحاولة الفرار من الأفكار الثورية التي كانت تدور في مخه فأغلقها بعد فترة قصيرة.

وأخيرا غلبت رغبته للكتابة على حياته المهنية"عام١٩٥٩م أنهى إدريس ارتباطه الوظيفي بوزارة الصحة"[٢٣] ويؤيده فاروق عبد القادر قائلا"وفي تلك السنة ذاتها(١٩٥٩م)أنهى يوسف علاقته الوظيفية المضطربة كطبيب يعمل بوزارة والصحة وتفرغ تماما للكتابة لصحيفة الجمهورية"التي عين بها وقضى فيها سنوات الستينات كلها".[٢٤] وفي ١٩٦١م سافر إلى الجزائر صحفيا وحارب في صفوف المقاتلين خلال ثورة تحرير الجزائر لمدّة ستة أشهر وأصيب بجرح أيضا.عمل في جريدة"الأهرام"لفترة طويلة وترقى في المناصب الحكومية الأخرى أيضا ويذكر سلمان كامل بعضها قائلا"عمل بالصحافة وكان عضوا في اتحاد الكتّاب وفي نقابة الصحفيين فوكيلا لها ورئيسا لجمعية كتاب المسرح ونقاده وجدد في المسرح المصري الحديث".[٢٥]

ذكر يوسف إدريس في إحدى مقالاته"افتح الحنفية ينزل كوكاكين"بأنه عمل أستاذا زائرا في جامعة لوس انجيلوس في أمريكا.[٢٦]

زواجه وأولاده

يذكر د. نجيب يوم زواجه قائلا:"تزوج يوسف إدريس في ٢٨ أغسطس ١٩٥٧م السيدة رجاء الرفاعي".[٢٧]

ورزق بثلاثة أطفال وهم سامح وبهاء ونسمة وتتحدث نسمة يوسف إدريس عن زواج والديها قائلة"زواج أبي وأمي لم يكن زواجا تقليديا وإنما كان بعد قصة حب قوية فقد كانت والدتي مخطوبة عندما تعرفت على أبي ولكنها أنهت الخطوبة وتزوجت به".[٢٨]

الجوائز والأوسمة

حصل يوسف إدريس على عدد من الجوائز والأوسمة ومنها:

- وسام الجزائر بمناسبة مشاركته في ثورة تحرير الجزائر
- وسام الجمهورية في١٩٦٣م اعترافاً به ككاتب من أهم كتاب عصره

- جائزة عبد الناصر في ١٩٦٩م في الآداب
- جائزة صدام للآداب في سنة ١٩٨٨م
- جائزة الدولة التقديرية في ١٩٩٠م

وفاته

توفي يوسف إدريس في لندن [٢٩]في الأول من أغسطس ١٩٩١م بعد أن أصيب بنزيف في مخه وضيق النفس والأزمة القلبية.[٣٠] وذكر فاروق عبد القادر أنه عاش فترة الغيبوبة قبل وفاته"رحل يوسف إدريس بعد أن ملأ الدنيا وشغل الناس..وكأنما شاءت رغبته الطاغية في أن يبقى"نجما"يدور الحديث عنه ولا ينقطع،أن تطيل أيام غيبوبته(مايو—أغسطس١٩٩١م) وكانت المفارقة أن يبقى حديث الناس دائرا عنه وهو لا يعى".[٣١]

بعد الحديث عن حياة يوسف إدريس ننتقل إلى مصطلح الوطنية فيشرح لنا جبران مسعود مصطلح الوطنية فيقول"إخلاص الحب والتضحية للوطن".[٣٢]

ويقول أحمد مختار في معجمه"حب الوطن والإخلاص والتضحية من أجله" [٣٣] وينقل أيضا قول الكاتب والأديب المصري قاسم أمين القائل"الوطنية تعمل ولا تتكلم"[٣٤]الوطني الحقيقي إذن هو"من يحب وطنه ويخلص له ويضحى من أجله ويعمل على نصرته ويدعو إلى استقلال بلاده"[٣٥] وورد في "الرائد"أن الوطني هو"الذي يحب وطنه ويخلص له الودّ والتضحية".[٣٦]

ويعلق الكاتب السعودي د.أحمد عبد الرحمن العرفج حول فكرة الوطنية قائلا"الوطنية ليست شعارا يرفع،وإنّما سلوكا يمارس...الوطنية الصادقة والمخلصة والحقيقية:هي أن تغذي وطنك بالعمل".[٣٧]

المبحث الثاني:القصص القصيرة ليوسف إدريس

إنّ يوسف إدريس رجل وطني وقدّم أعمالا رائعة يبرز فيها حبه للوطن ورغبته الشديدة للدفاع عنه وتشجيع الشعب المصري على الوقوف ضد أعداء الوطن.قدّم يوسف جهوده في مجال القصة والرواية والمسرحية والمقال لكننا هنا نقف عند أعماله القصصية فقط لنتكلم عن وطنيته من خلال قصصه القصيرة فالوطنية تأخذ أشكالا في كتابة يوسف إدريس وذلك لأن فترة كتابته للقصص تمتد إلى أربعين سنة تقريبا فالوطن عاش ظروفا مختلفة فنراه يؤيد ثورة يوليو ١٩٥٢م بكتاباته ويسجل وقائع الحروب ويذكر أبطالها المصريين ويكشف الغطاء عن وجوه الخائنين ويذكر أساليب تدخل الدول الكبرى في شؤون مصر وهو أيضا يدعو إلى الحرية على مستوى الفرد ويكره المراقبة الدائمة الزائدة من اللزوم لأفراد شعبه وهو أيضا صوت شعبه المظلوم فينتقد أيضا حكام بلاده في قصصه القصيرة.فنستطيع أن نقول أن هناك محاور لوطنيته ومنها:

أ- ذكر أبطال المعارك

ب- غرس المواقف الوطنية

ج- الخيانة والخائنين

د- نقد القيادة والحكام

هـ- مدح البلاد

أ- ذكر أبطال المعارك

نشرت"أرخص ليالي"المجموعة الأولى ليوسف إدريس في١٩٥٤م وكتب فيها قصته الشهيرة"٥ ساعات"[٣٨]،القصة حقيقية التي حدثت بالفعل قبل أحداث يوليو١٩٥٢م وبطل القصة هو—الضابط المقتول—عبد القادر طه[٣٩] ويذكر الناقد الفني محمود قاسم أن د.يوسف إدريس عاش هذه القصة وهو الطبيب الذي حاول إنقاذ حياة الضابط—المضروب في ظهره—في غرفة العمليات(في القصة)والضابط "هو عبد القادر طه الذي راح ضحية لرصاصات أعوان الملك".[٤٠]

يصف يوسف إدريس الضابط الجريح في أول رؤيته فيقول"فقد كان الرجل يرقد في ثقة وقد أسبل عينيه وشبك ذراعيه فوق صدره وزم شفتيه واسترعتني ملامحه.. كانت فيها مصرية..مصرية من ذلك النوع الذي يوقظ فيك مصريتك ويجعلك تعشقها من جديد".[٤١]

و يفاجئ يوسف إدريس القارئ بقوله "رجولة تبعث القشعريرة في الرجال..وكان جسده صلبا شاهقا وعنقه ممتلئا غليظا يضج بالحياة والفتوة ومع هذا يقولون مضروب النار".[٤٢]

ثم يجيب على لسان الضابط باللهجة المصرية قائلا "قتلوني..في الضلمة ...ضربوني بالنار..هنا..في ضهري..كده يا فاروق..تقتلني"[٤٣] ثم يشرح الأوضاع بأسلوبه الخاص"كنا أيامها تحت حكم فاروق..وكانت هناك أحكام عرفية..وكان الظلام والسخط يخيم على مصر ويعشش في قلوب الناس"[٤٤] فهو يشير إلى عهد الملك فاروق وحكمه ثم يشارك أحزان الشعب قائلا"وكنت أحس طوال العمر الثقيل أنه (الضابط)مضروب في ظهره وأنه مغتال وأنه مظلوم،لأننا كلنا مظلومون..وما كنت وحدي الذي حدث له هذا.."[٤٥]

فهو يبكي للضابط وبكاؤه يهز مشاعر الشعب ويرشد أيضا إلى قاتل الضابط بين السطور."البطل"قصة شاب أسقط الطائرة الفرنسية بمدفعه خلال الحرب وكان الشاب"أحمدعمر"جار الكاتب وصديق أخيه الأصغر"محمد" وكان شابا خجولا قبل دخوله الجيش وتغيرت أحواله بعد التجنيد والتدريب في الجيش المصري وكانت كتيبته خلال الحرب في"مصرالجديدة"شمال القاهرة للدفاع عن العاصمة.[٤٦]فالشاب البسيط أراد أن يشارك الكاتب في فرحته الكبيرة"سلم لي على محمد لما بيجي قول

له إن أحمد وقع طيارة..أنا عارف هو مش ح يصدق زي عوايدة.إنما والله العظيم وقعتها أهه..محروقة في الرملة هناك".[٤٧]

ويذكر سذاجة البطل وفقره وقلة معارفه وصلاته بالآخرين حيث أنه لم يكن يملك غير رقم هاتف الكاتب حتى يخبره بما قام من عمل جليل"أدوني ساعة إجازة بعد الحكاية دي وأنا معرفشي نمرة إلا نمرة حضرتك.دي حاجة هايلة قوي..مشكده؟تصور! طيارة تقع..أنا أوقعها".[٤٨]

ومن خلال القصة نعرف مشاعر الرجل المدني خارج المعركة إذ يقول"لحظة أن كنت أكلمه كان كلّ همي أن أعرف الخدمة التي يريدها لأستطيع القيام بها وأحس أني بهذا أساهم بنصيب ما في المعركة"[٤٩] هذا هو الإحساس للوطني الحقيقي أن يساعد إخوانه العساكر في ميدان المعركة.ليس البطل عند يوسف يشارك في ميدان القتال فحسب وإنّما كل شخص الذي يخدم وطنه وشعبه بطريقة أو أخرى فهو بطله فنرى أن الطفل في قصته"صح"[٥٠]هو بطله فيصفه قائلاً"فصبي حاف مثله،جلبابه قديم متآكل ورأسه محلوق بالماكينة..صبي مثل هذا لا يمكن أن يمت أبدا إلى جاردن سيتي حي القصور والفيلات والسفارات".[٥١]

الطفل ممثل الشعب المصري الفقير والحي رمز الطبقة الأرستقراطية التي لها علاقة قوية دائما مع سفارات الدول الأخرى بحكم أسفارها إلى الخارج ومن حيث السياسة الدولية لأنّ الأستقراطيين في الدول العربية هم الذين يحكمون البلاد جمهورية إن كانت أم مملكة—يبدو أنه يشير إلى التدخل الأمريكي المؤثر في سياسة بلاده لأنّ الطفل"استأنف حك الحجر بسور حديقة السفارة الأمريكية وكأنما أعجبه سور السفارة حين وجده طويلاً لا ينتهي فمضى يجري..وقبل أن ينتهي السور كان قد انتهى شغفه بالخط"[٥٢] فطول جدار السفارة دلالة على كثرة المباني والموظفين فبذلك يشير إلى التدخل الأمريكي القوي في شؤون بلاده ولذلك اختار الطفل أن يكتب على جدار سفارتها لكي تكون رسالة إلى الولايات المتحدة الأمريكية من الشعب المصري الذي ينتمي إليه.

وفي"معاهدة سيناء"[٥٣] يجمع ما بين بطولة عامل مصري وكشف المؤامرات الدولية ضد بلاده إذ وقعت أحداث القصة في الحدود الشرقية على ساحل البحر الأحمر حيث عطلت المكنة"فهي آلة ضخمة جداً في حجم البيت الصغير أو أكبر قليلا وثمنها كذا عشرة آلاف جنيه وأصلها روسي أنتجتها مصانع لينينجراد جاءت إلينا كجزء من القرض"[٥٤]وأرسلت روسيا مهندسها أيضا للإشراف عليها فلما عطلت المكنة أصرّ الروسي بطلب قطعة غيار لها من روسيا وعرفت شركة أمريكية خبر عطل المكنة

واستطاعت أن تقنع المسؤولين المصريين بإرسال قطعة غيار للمكنة مع مهندسها الأمريكي ولم يسمح الروسي أول الأمر لتغيير قطعة غيار روسي بأمريكي ولما وافق بعد جهود طويلة فأصر أن يشرف على عملية التغيير لأن المكنة روسية والأمريكي لم يقبل ذلك فبقيا على عنادهما حتى فوجئ الجميع-ذات صباح—بصوت المكنة المرتفعة فرأوا أن محيي الدين العامل المصري المعروف بالنمس بين العمال قد قام بمستحيل"كان النمس،على ضوء كلوب وبمساعدة زميل له،قدقام..في الليل بتركيب قطعة الغيار الأمريكية والتصرف في أجزائها وصواميلها حتى طابقت تماما المكنة الروسية".[٥٥]

فأصبح النمس بعد ذلك يشرف على تلك المكنة"والذي يديرها هو النمس بعينه وسمرته وبنصر يمناه المبتور."[٥٦]فهو بذلك يدعو إلى الثقة بالمصريين ويشير أيضا إلى أن الحلول المستوردة للمشاكل المصرية لا تحل القضايا المحلية.

ب- غرس المواقف الوطنية

نشر يوسف إدريس مجموعته القصصية"قاع المدينة"في ١٩٥٧م[٥٧] بعد تأميم قناة السويس وحرب العدوان الثلاثي في ١٩٥٦م فكتب مؤيدا للموقف الوطني لأنّ الحرب كانت قد فرضت على مصر من قبل إسرائيل وانجلترا وفرنسا فألف قصته الشهيرة"هي..هي لعبة".[٥٨]

في بداية القصة يذكر لنا أن طفلي الحارة تشاجرا فضرب"فؤاد"ابن إبراهيم جاره ابن شعبان وشتمت زوجة إبراهيم زوجة شعبان فلما ذهب شعبان مع ابنه ليشتكي جاره إبراهيم فعرف سبب الشجار بين الطفلين بعد تفتيش طويل وهو أن الأولاد كانوا يلعبون لعبة الكنال فقسموا مجموعتين ووضعوا الخط الوهمي بينهما"قسمنا قسمنا نفسينا..احنا احنا الجيش المصري وهم أسطول الانجليز..وحطينا حطينا خط كده وقلنا قلنا ده الكنال...وإذا عدوا الخط يبقى اتغلبناويا خدوا الكنال".[٥٩] وخلال اللعبة عبر الفريق الممثل بأسطول الإنجليز الخط الوهمي ولكن ابن شعبان رفض أن يسلم الكنال"قلنا له سلم قام شتمنا وقعد يضرب فينا عشان منعديش الخط..والله هو اللي وقعني وقعد يضرب في وعضني ثلاث عضات"[٦٠] فالطفل لم يقبل تسليم الكنال فجعل اللعبة أمرا جادا"واندفع الولد بغضب حقيقي يقول:ياخدوهازاي؟..هي..هي لعبة..هـ.هي لعبة؟!"[٦١]

و"الجرح"[٦٢] كتبها يوسف إدريس بمناسبة حرب السويس أيضاً وهي قصة"شباب أربعة في

قارب صغير يتجه بهم–من بحيرة المنزلة– إلى بور سعيد التي حاصرتها قوات الغزو من البر والبحر"[٦٣] وتسافر معهم أم شاب جريح"وحارب وجتله رصاصتين في رجله"[٦٤] وهو ابنها الوحيد وهي تذهب إليه وهو في المستشفى وأخبرها عن طريق الصليب الأحمر أن الخدمات سيئة ولا يوجد حتى الأكل فلم تستطع أن تصبر على فراقها فقررت الذهاب إليه وعندما سألها أحد ركاب القارب بأنها إن كانت معه وقت الحرب فهل كانت تسمح لابنها الوحيد أن يحاربها فقالت"كنت أخليه أخليه..إنما لازم كنت أحارب وياه.رجلي على رجله".[٦٥]

لم يرض ابنها التاجر أن يترك دكانه وأرضه للإنجليز والأم مستعدة أن تفدي نفسها أيضا للدفاع عن الوطن.هكذا يغرس يوسف حبّ الوطن في قلوب قارئيه.

ج– الخيانة والخائنين

من الطبيعي من يحب أن يكتب عن محبي وطنه والمخلصين له، يكره الخائنين لبلاده وشعبه فقدّم يوسف إدريس"البراءة"[٦٦]ونشرت في ١٩٧٢م فيكتب عن أساليب الدول الأخرى التي تكسب ثقة "الصيد"أولا ويتركون له فرصة الاختبار"إبتسامة الجنرال والزورق والدعوة وعبرت كيف؟لا أعرف...لم تمتديده تصافحني. في وجهه تعبير من لا يريد إحراجي من يعرف أني لن أصافحه أنا أريد أن أرى مجرد أن أرى وأتفرج عن كثب أشاهد والرؤية ليس لها دنس..الجنرال،أشعر به من بعيد يراقبني"[٦٧] ثم يتكلم عن المال أولى الإغراءات"ماركات ألمانية حقيقية آلاف الأوراق كل ورقة بألف مارك لفته مرّة أخرى انبثقت دولارات،ليرات،دينارات،ورقات بعشرات الجنيهات".[٦٨]

ومن الإغراءات تقديم البنات إلى الخائنين"وأمامك طابور اختر ما تشاء بأصبعك أشر مجرد أن تشير بإرادتك جرب مجرّد أن تختار برغبتك حتى بمجرد انبثاق الرغبة في أعماقك الباطنة،جرب والجنرال هناك..حتى لو اخترت ابنة العاشرة سيبارك الاختيار"[٦٩] فالأمر واضح تمام الوضوح وعندما عاد الخائن إلى المرسى القديم فوجد ابنه في انتظاره بمسدسه فقتل أباه الخائن وفضل الوفاء بالوطن على صلة الدّم بأبيه الخائن.

د– نقد القيادة والحكام

لم يكتف يوسف ادريس بالدفاع عن السياسة الوطنية وإنما كان ينتقد القيادة أيضا وهو أمر يستحيل في بعض الأحيان في الدول العربية تحت حكم القائد المفدى جمهوريا إن كان أم ملكيا ففي ١٩٦٩م كتب"الخدعة"[٧٠] فهي قصة القائد،سطحي التفكير،بثقته العالية بأجهزة أمن الدولة أكثر من ثقته

بشعبه الذي اختاره وأحبّه.القائد الذي يريد أن يبقى أمام أفراد بلاده صباحا ومساء وأجهزته تتدخل في كلّ شؤون عامة الناس وتسلب حرية الشعب فرمز للقيادة بـ"رأس الجمل"ويذكر الكاتب أنه رأى رأس الجمل وهو يستحم في الحمام وعندما فتح الجريدة اخترق رأس الجمل الجريدة وحتى رآه عندما كان مع زوجته في غرفة النوم"إذا بي اكتشف أن شيئاً يتسلل بغلظة بيننا،بلا عنف وبلا حياء وربما بلا وعي بما يدور ولكنه أصبح في النهاية بيننا".[٧١] وعندما تكلم مع زملائه عرف أنهم يعانون منذ زمن بظاهرة رأس الجمل المطل عليهم دائماً.

هـ – مدح البلاد

يمدح يوسف بلاده على لسان الزائر الهندي في"أليس كذلك"[٧٢] إذ يقول الهندي "لقد وجدت كل شيء هنا يستيقظ وينمو..حتى نيلكم يفيق ويحاول أن يختزن ماءه المبعثر"[٧٣] ويقول أيضا "إنكم أوّل شعب أراه يحب أن يعطي حتى ولو لم يأخذ كل الناس تعطي وتأخذ.أنتم دائما على استعداد للعطاء..هذه هي قمة الإنسانية".[٧٤]

سألته الفتاة المصرية"إذا حاربنا الإنجليز هل تحارب معنا"[٧٥]فأجابها"أنا مستعد أن أفقد رأسي من أجلك ليس من أجلك أنت بالذات ولكن من أجل شعبك".[٧٦]

خلاصة البحث

يبدو أنه كان شديد الكره للإنجليز في تلك الفترة بعد تأميم قناة السويس لأنه كتب "المستحيل"في نفس المجموعة وهي قصة مجنون من عائلة فقيرة فحصه يوسف إدريس خلال ممارسة مهنته وكان المجنون يعتقد أنه يملك العمارات.اتفق مع الطبيب أن يبيع عماراته المزعومة فقال له الطبيب "بيعهم للإنجليز واخلص"فأجب"لاالإنجليز..لا إنجليز".[٧٧]

فيوصل الفكرة أن حتى المجنون غير مستعد أن يبيع شيئا للإنجليز فكره أعداء الوطن يجب أن يتعمق في النفس الإنساني وأن يكون الإنسان مؤمنا كلّ الإيمان بوطنه وأن يعيش مخلصا ووفيا ومدافعا عن بلاده كما فعل يوسف إدريس في حياته من خلال تقديمه الأعمال النثرية الرّائعة.حاولنا أن نغطي بعض جوانب وطنيته ونقترح أن يختار هذا الموضوع لأطروحة لنيل شهادة الدكتوراه.

الهوامش والمصادر

١- معجم الأدباءمن العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢:كامل سلمانالجبوري،ج٧،ص٣٩،ط ١،سنة٢٠٠٣م،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان.

٢- المصدر نفسه.

٣- البحث عن اليقين المراوغ: فاروق عبد القادر، ص ٧،دار الهلال مصر١٩٩٨م.

٤- يوسف إدريس بعد عشر سنوات من الغياب (مقال):يوسف القعيد،مجلة نزوى:العدد التاسع والعشرون١٤/٧/٢٠٠٩م.

٥- الحلم والحياة في صحبة يوسف إدريس:د.ناجي نجيب،ص١٠،نوفمبر ١٩٨٥م،دار الهلال.

٦- يوسف إدريس العائش في القصص (المقال):رضا عطية،جريدة القاهرة٩/٨/٢٠١١م.

٧- معجم الأدباء،ج ٧ ص ٣٩.

٨- يوسف إدريس والقصة القصيرة (دراسة تحليلية نقدية):طاهر محمود،الجامعة الوطنية للغات الحديثة،إسلام آباد سنة ٢٠١٤م.

٩- الحلم والحياة في صحبة يوسف إدريس،ص ١٠.

١٠- آخر الدنيا:يوسف إدريس،ص ٧٧—٧٨،مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقي-الفجالة.

١١- المصدر نفسه،ص ٧٥.

١٢- المصدر نفسه ٧٨-٧٩.

١٣- الحلم والحياة في صحبة يوسف إدريس، ص١٦.

١٤- قاع المدينة: د.يوسف إدريس من ص ٢٩ إلى٥٠،ط ١ سنة١٩٩٠م،دار الشروق القاهرة.

١٥- البيضاء:د. يوسف إدريس،ص ١٣٦،ط١ سنة ١٩٨٧م،دار الشروق القاهرة.

١٦- البحث عن اليقين المراوغ،ص ٢٦.

١٧- الحلم والحياة في صحبة يوسف إدريس،ص ٢٤.

١٨- البحث عن اليقين المراوغ،ص٣١.

١٩- يوسف إدريس،قصة قصيرة طالت قليلاً(مقال) محمود الورداني،الأهرام المسائي،١٦ مارس٢٠١١م.

٢٠- الحركة الديمقراطية للتحرير الوطني.

٢١- الحلم والحياة في صحبة يوسف إدريس،ص ٢٤.

٢٢- هم وأنا:صالح مرسي،ص ١٦٦، ط ١ سنة ١٩٦٦م،مكتبة مدبولي الصغير،مصر.

٢٣- الحلم والحياة في صحبة يوسف إدريس،ص٣٣.

٢٤- البحث عن اليقين المراوغ،ص ٣٩.

٢٥- معجم الأدباء،ج ٧ ص٣٩.

٢٦- عزف منفرد (مجموعة مقالات):يوسف إدريس ص ٥٦،ط ١ سنة ١٩٨٧م،دار الشروق القاهرة.
٢٧- الحلم والحياة في صحبة يوسف إدريس،ص٣٤.
٢٨- نسمة يوسف إدريس،أبي قرر أداء فريضة الحج قبل وفاته (مقال):مروة مظلوم،روز اليوسف اليومية١٩/٧/٢٠١٠م.
٢٩- معجم الأدباء،ج٧ص٣٩.
٣٠- نسمة يوسف إدريس،أبي قرر أداء فريضة الحج قبل وفاته (مقال):مروة مظلوم،روز اليوسف اليومية١٩/٧/٢٠١٠م.
٣١- البحث عن اليقين المراوغ،ص ٤.
٣٢- الرائد:جبران مسعود،ص ٨٦٤،ط ٧، آذار١٩٩٢م،دار العلم للملايين-بيروت.
٣٣- معجم اللغة العربية المعاصرة:أ. د.أحمد مختار،ج١،ص٢٤٦٣،ط١،عالم الكتب القاهرة سنة ٢٠٠٨م.
٣٤- المصدر نفسه.
٣٥- المصدر نفسه.
٣٦- الرائد، ص ٨٦٧.
٣٧- كلمات عرفجية في مفهوم الوطنية (مقال):أحمد عبد الرحمن العرفج،صحيفة المدينة الثلاثاء٠٢/٠٧/٢٠١٣م.
٣٨- أرخص ليالي:يوسف إدريس،ص٧١—٨٤.دار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاء-القاهرة.
٣٩- يوسف إدريس، قصة قصيرة طالبت قليلاً (مقال).
٤٠- روايات يوسف إدريس ما بين القلم والسينما:محمود قاسم ٢١/٥/٢٠١٥م. hawamsh.net/٢٠١٥/٠٥.
٤١- أرخص ليالي،ص ٧٢.
٤٢- المصدر نفسه.
٤٣- المصدر نفسه،ص ٧٣.
٤٤- المصدر نفسه.
٤٥- المصدر نفسه، ص ٨١.
٤٦- اقتلها:يوسف إدريس،من ص ١٠٢ إلى ١١٣، دار الشروق القاهرة.
٤٧- المصدر نفسه،ص ١١١.
٤٨- المصدر نفسه، ص ١١٣.
٤٩- المصدر نفسه،ص ١١٢.
٥٠- المصدر نفسه،ص ٩٤-٩٩.
٥١- المصدر نفسه،ص ٩٥.
٥٢- المصدر نفسه،ص ٩٧.
٥٣- لغة الآي آي:يوسف إدريس،ص٢٥ - ٣٢.

٥٤- المصدر نفسه،ص٢٥.
٥٥- المصدر نفسه،ص٣٢.
٥٦- المصدر نفسه.
٥٧- نداهة الكتابة نصوص مجهولة في إبداع يوسف إدريس،ص ٣٣٥،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة.
٥٨- قاع المدينة:يوسف إدريس،ص ٠٥—٢٨،دار الشروق القاهرة.
٥٩- المصدر نفسه،ص١٩.
٦٠- المصدر نفسه،ص٢٥.
٦١- المصدر نفسه،ص٢٤.
٦٢- المصدر نفسه،ص٥١-٨٤.
٦٣- البحث عن اليقين المراوغ،ص٣٤.
٦٤- قاع المدينة،ص٦٨.
٦٥- المصدر نفسه،ص٦٩.
٦٦- أنا سلطان من قانون الوجود:يوسف إدريس،ص٤٩-٥٧.
٦٧- المصدر نفسه، ص٥٠-٥١.
٦٨- المصدر نفسه،ص٥١.
٦٩- المصدر نفسه،ص٥٤.
٧٠- بيت من لحم: يوسف إدريس،ص٩٦-١٠٢.
٧١- المصدر نفسه،ص٩٩.
٧٢- أليس كذلك:يوسف إدريس،ص١١٨-١٢٩.
٧٣- المصدر نفسه،ص ١٢١.
٧٤- المصدر نفسه،ص ١٢٢.
٧٥- المصدر نفسه،ص١٢٧.
٧٦- المصدر نفسه.
٧٧- المصدر نفسه،ص١٤٢.